الذكاء الاصطناعى والمواطنة

ما هى إلا سنوات قليلة حتى تسود أنظمة الذكاء الاصطناعى وتطبيقاتها اللامحدودة شتى مجالات الحياة الإنسانية من خلال آلات تمتلك قدرات تمكنها من ممارسة عمليات التفكير المتشابكة، ومنهجيات التحليل المختلفة، ومهارات التخطيط المتعارف عليه، وبرامج التنفيذ الموسعة...ما يمكنها، من محاكاة الإنسان فيما يصنع ويفعل...ومن ثم حلول هذه الأنظمة الذكية فى شتى الدوائر: الصناعية، والمعرفية، والعلمية، والإبداعية، والثقافية، والإدارية، والخدمية، والفنية، والترفيهية، والرياضية، والتنموية، والبيئية،...،إلخ...

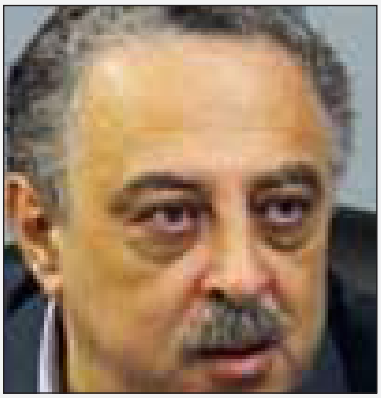

سمير مرقص

وقد حاولنا على مدى المقالين السابقين استعراض أثر الذكاء الاصطناعى على الإنسان: قيمه، وسلوكياته، وعلاقاته كما عرضنا لكل من المحذرين والمرحبين لتقنية الذكاء الاصطناعى وكيف أن البعض، من جهة، نبهوا لاحتمالية خطورة انحراف هذه التقنية عن المسارات السلمية ما يعرض الكوكب لخطر الحروب. وكيف أن البعض الآخر، أبدعوا فى كيفية توظيف أنظمة الذكاء الاصطناعى من أجل خير الكوكب.

فلقد وصلت الأنظمة الذكية، وهى بعد فى مرحلة الانطلاق، إلى أن تمتلك الحس السليم، والخبرة، والتعليم، والقدرات الرشيدة، ومهارات الاتصال، والذاكرة، والقدرة على رؤية أمر ما وإعادة تفسيره وتوظيفه لغرض آخر وابتكار المنظومات القادرة على الإبداع للقيام بكل الوظائف الإنسانية محكومة بفطنة استنباطية رفيعة المستوى تمكنها من منافسة الإنسان...فلقد أثبت الواقع العملى أن الأنظمة الذكية التى تم إطلاقها فى مجالات الزراعة والصناعة والبحث العلمى وألعاب الترفيه،...،إلخ، قد استطاعت أن تبدع مسارا خاصا من محصلة إعادة إنتاج (توالد) مجمل السلوك الإنسانى الذكى فى صورة آلية.وإنتاج ما يكافئ الذكاء الإنسانى، من خلال الأنظمة الذكية وتطبيقاتها...

فى ضوء ما سبق، تنبه البعض إلى أن نسقا حياتيا جديدا سوف يتشكل بفعل التوسع فى استخدام الأنظمة الذكية فى العديد من الميادين المفيدة للإنسانية خاصة العلمية والطبية والبيئية وهو أمر لا غبار عليه بشكل عام.إلا أن الميدانين الأساسيين اللذين سوف يتأثران تأثرا حاسما فى هذا المقام هما: المجال العام. وسوق العمل. وبالنسبة للمجال العام، يرى

كثيرون أن ما كان يُعرف بالمجال الافتراضى سوف يصبح مجالا حقيقيا يشهد تحركا مواطنيا فاعلا عبر ما بات يُعرف بديمقراطية التقنيات الرقمية والذكية الاصطناعية. ففى ظل الديمقراطية الرقمية والذكية سوف ينشط المواطنون وتنشط المواطنة بين الجميع دون تمييز ووفق مساواة تامة. وعليه لن تكون المواطنة حكرا على نخبة أو مقتصرة على جماعات بعينها...وستكون المنصات الرقمية هى المسرح الرئيسى لممارسة المواطنة وتصبح أنظمة الذكاء الاصطناعى وسائلها فى التدريب والتخطيط والتجميع والإعلام والتوجيه والمحاسبة والرقابة والضغط وبلورة الرأى العام وبناء التحالفات وبلورة المصالح المشتركة بين الطبقات والشرائح الاجتماعية والأحزاب السياسية والكيانات المدنية والانتماءات الثقافية محليا وإقليميا وعالميا.

بالنسبة لسوق العمل، تؤكد الدراسات أن دخول العالم زمن الثورة الصناعية الرابعة القائمة على أنظمة الذكاء الاصطناعى سوف يؤثر سلبيا على سوق العمل فمثلا يتوقع الاستغناء عن نحو ٥٠٪ من العمالة الحالية فى الولايات المتحدة لمصلحة أنظمة الذكاء الاصطناعى التى سيمتد نشاطها تدريجيا لكل القطاعات ما يعنى أزمة مجتمعية حادة بسبب البطالة والفقر.

إذن كلما تقدم العالم فى الدخول إلى الزمن الرقمى وأنظمة الذكاء الاصطناعى فإن المواطنة سوف تتعرض لاختلالات فى منظومتها الحقوقية. فمن جانب سوف نشهد حضورا مواطنيا متزايدا فى المجال العام الرقمى الجديد (الافتراضى السابق) ومن ثم تمتعا متناميا بالحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والثقافية. وفى المقابل سوف نشهد سوقا للعمل يجسد معاناة فى تأمين حق العمل للمواطنين.

ويمكن تلخيص المشهد السابق من خلال العبارة التى ترددت على لسان أحد الباحثين والتى تقول:''إن عالمنا، الذى ينطوى على نوافذ يستطيع البعض المروق من خلالها نحو الأعلى، لا تزال فيه نوافذ يسقط منها كثيرون نحو الهاوية''؛...أى أن أنظمة الذكاء الاصطناعى تعد فرصة لازدهار المواطنة بحقيها السياسى والمدنى من جانب وخطرا عليها فى حقيها الاقتصادى والاجتماعى من جانب آخر...

بلغة أخرى نوجز القول بأن أنظمة الذكاء الاصطناعى ذات الإمكانات المذهلة سوف تكون متاحة ــ نسبيا ــ لاستخدام المواطنين فى المجال العام الجديد (الافتراضى سابقا). ولكن هى ذاتها نفس الأنظمة الذكية ستكون عنصرا اقصائيا للمواطنين من سوق العمل حيث تحول دون تأمين فرصة عمل لكل مواطن منهم بما يضمن لهم حياة كريمة عادلة...ويعد البعض ما سبق معضلة كبرى تثير الكثير من التساؤلات حول أثر التقدم التكنولوجى على منظومة حقوق المواطنة من حيث إمكانية ممارسة بعض من حقوق المنظومة واحتمالية عدم القدرة على تأمين ممارسة بعضها الآخر...وهل يستقيم التقدم التقنى المطرد مع مواطنة منقوصة...وهل هناك من فرصة لتصويب العلاقة بين الزمن الرقمى وأنظمة الذكاء الاصطناعى وبين منظومة المواطنة بكامل حقوقها...